

تفسير الآية 102 من سورة آل عمران

الحكم بالإسلام هو الدرع الحامي لهذه الأمة

(مترجم)

كلمة بالث المباشر عبر الفيسبوك

قدمتها الدكتورة نسرین نواز

مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

الحمد لله، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي..

1- المقدمة:

أيتها الأخوات العزيزات، أود أن أبدأ بسؤالك "مع اقتراب نهاية شهر رمضان المبارك، ما هو الهدف الرئيسي الذي تردن تحقيقه بحلول نهايته؟ بمعنى آخر ما نوع التغيير الذي تردنه في حياتك؟"

- هذا السؤال الحاسم يجب على كل واحد منا أن يسأل نفسه عنه وأن نجيب عليه بعناية لأننا إذا لم نفعل ذلك، فقد يغيب عنا جوهر ما تدور حوله هذه الأيام المباركة - وهي فرصة قد لا تأتي مرة أخرى ولا تعوض - لأن من يدري ما إذا كان شهر رمضان هذا آخر رمضان لنا، لذا يجب علينا أن نفكر فيه بهذه الطريقة.

- قد يقول البعض إن الهدف الرئيسي من هذا الشهر هو الحصول على مغفرة من الله سبحانه وتعالى لجميع آثامنا وخطايانا السابقة، لإنقاذ أنفسنا من النار وضمان أكبر قدر ممكن من الثواب وأعلى منزلة في الجنة. جميع هذه الأهداف صحيحة ولكن هذه هي الأشياء التي نريدها من الله... ولكن ماذا يريد الله منا حتى نستحق كل هذه الأشياء... ولفهم هذا، دعونا ننظر إلى آيتين من الآيات المتعلقة بشهر رمضان:

■ أولاً، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية 185 ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾.

• لذا فإن الهدف الأول أيتها الأخوات هو أن نقدر حقاً أن القرآن نزل إلينا في هذا الشهر المبارك كدليل لكل جانب من جوانب حياتنا - الأعمال الروحية، الأخلاق، كيفية اللباس، والتعامل مع الجنس الآخر، وحياتنا العائلية، والزواج، والمسائل المالية، وكيفية التعامل مع الجرائم، وكيفية حكم الدولة، والعقوبات، والعلاقة مع الدول الأجنبية، وكل شيء - دليل لنا كأفراد، كأمة، وكإنسانية - لاستخدامها كمقياس لاتخاذ قرار بين الصواب والخطأ لتشكيل كل حكم، كل خيار، كل رأي، كل قرار، كل قانون، كل عمل نقوم به - دون استثناء.

• لنقدر حقا هذه النقطة لا يعني مجرد الاعتقاد أو قول ذلك بالكلمات، ولكن إذا كنت حقا تقدر شيئا ماذا تفعل؟ كنت تعمل لجعله يحدث، وجعله واقعا وحقيقة، في حياتنا، وفي بلادنا، في هذا العالم.

• قال رسول الله ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ».

- لذلك كل كلمة من هذا الكتاب الذي نقرؤه في شهر رمضان وما بعده إما أن يكون دليلا لنا أو ضدنا، هل نعيش وفقا لأحكامه، أو نعمل على تطبيقه في هذا العالم! أم أننا تجاهلناه وقررنا القيام بما هو سهل بالنسبة لنا؟
- ولذلك فإن هذا هو الهدف الأول من هذا الشهر، لفهم علاقتنا حقا مع القرآن الكريم وجعله مقياسا لكل مجال في حياتنا كمسلمين وكأمة.

■ ثانياً أيتها الأخوات، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

- وبالتالي فإن الهدف الرئيسي الثاني من هذا الشهر هو بالنسبة لنا كسب التقوى - ولكن ما هي التقوى بالضبط؟

• التقوى مشتقة من الفعل العربي "وقي"، والذي يعني لغويا حماية الذات. وقد وصف الحافظ ابن حجر العسقلاني التقوى بأنها تضع حاجزا بيننا وبين عقاب الله. لذا، فإن "التقوى" هي الخوف ومعرفة أن الله سبحانه وتعالى على علم بجميع أفعالنا وأعمالنا التي نعمل كدليل يحميننا من عقابه - إنه الوعي الذي ينبغي أن يكون له وزن كبير بالنسبة للمؤمن... وقد ورد ذكره في أكثر من 230 آية في القرآن الكريم... والني ﷺ وصفها بأنها رأس كل الأمور وجامعة لكل الخير.

• إذن التقوى هي مفتاح السعادة والنجاح في هذه الحياة وفي الآخرة. وهكذا بالنسبة للمؤمن الصادق والمخلص، يجب عليه أن يتوق إلى أن يكون من المتقين والأتقياء.

2- من هم المتقون؟

• لأن "المتقين" هم مثل النادي الخاص. مثل كونهم أحد عملاء البطاقات الذهبية التي تأتي معها الامتيازات والمزايا المطلقة. الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

• سبحان الله أيتها الأخوات، فإن من هم متقون قد وعدهم الله سبحانه وتعالى - بمساعدته، دعمه، إرشاده، محبته، رحمته، غفرانه، ونيل مكافآته وثوابه، والفوز بجنته - من منا لا يريد كل هذا؟

• ولكن لكسب هذه البطاقة الذهبية والتمتع بهذه الامتيازات يتطلب منا امتلاك صفات المتقين.

3- التقوى

• فما هي هذه الصفات؟ مرةً أخرى من الضروري أن نجيب على هذا السؤال بشكل صحيح.

- تخيل أنك تجلس من أجل الامتحان وتدرس بجهد للحصول على أفضل درجة - ليلاً ونهاراً - ولكن عندما تجلس على طاولة الامتحان - فإن المادة ليست هي ما قمت بمراجعتها - لأنك لم تلتفت إلى المنهج أو محتوى المحاضرات.

- يمكن أن يكون الشيء نفسه مع بلوغ التقوى وتصبح من المتقين - قد نعتقد أننا نقوم بالإجراءات الصحيحة أو نتبع المسار الصحيح ولكن في النهاية قد نحصل على كذبة كبيرة ونبوء بالفشل.

• إذن كيف يرى الكثير من الناس أولئك المتدينين المتقين؟ ويرى الكثيرون منهم أنهم يصلون، ويصومون، ويقرؤون القرآن كثيراً، ولديهم دائماً المسبحة في أيديهم للتسبيح، ويرتدون الملابس الدينية، ولديهم لحية، ويقضون وقتاً طويلاً في المسجد، ويعيشون بأقل قدر من الأشياء في الحياة..

لكن هذه ليست الطريقة التي يصف بها الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ التقوى.

• يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران، الآية 102: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا

تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، إن الخوف من الله يجب أن يكون وسيلة لطاعة الله وعدم عصيانه "أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر".

• إذن، التقوى، هي توعية مستمرة وخوف من الله سبحانه وتعالى يدفعنا إلى أن نكون عباده المخلصين في كل أمور الحياة، من خلال الطاعة الكاملة لتشريعته وأحكامه سبحانه وتعالى في جميع الأفعال والقضايا ومجالات الحياة.. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة"، يقول ابن كثير رحمه الله "الله يأمرنا أن نخافه، هذا يتضمن القيام بما أمر به والامتناع عن كل ما نهانا عنه...". وذكر الخليفة العظيم عمر بن عبد العزيز "ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخطيط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير".

• إذاً المتقون هم الذين يفهمون أن علاقتهم بالله سبحانه وتعالى هي سمع وطاعة - إليه كل أمر وحكم - سواء أكان روحياً أم معنوياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أم قضائياً أم سياسياً. وأن نترك رغباتنا الشخصية وآراءنا جانباً لما يرضي الله سبحانه وتعالى ونقوم بالطاعة التامة في كل مسألة في الحياة وكل ما هو وارد في القرآن وسنة رسوله. ومن المؤكد تماماً أن هذه القوانين هي أفضل السبل للعيش كأفراد، كأمة، كمجتمع وكدولة وكإنسانية.

- بالنسبة لأولئك الذين يسعون إلى أن يكونوا من المتقين - ليس هناك مفهوم - أنا لست مستعداً للقيام بهذا الالتزام الإسلامي حتى الآن - سأفعل ذلك في وقت لاحق، أو أنه من الصعب جداً القيام به لأنه سوف يؤثر على حياتي الهادئة، ومصالحتي، وطموحاتي، أو ليس لدي الوقت للقيام بذلك، للحصول على المعرفة والمعلومات حول

الإسلام أو حمل الدعوة، أو أننا نأخذ جزءًا من الإسلام الذي نجده سهلاً (الأعمال الروحية والأخلاقية) ونترك الباقي (الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، أو هذا القانون من الله سبحانه وتعالى ليس له صلة بعالم اليوم، أو نظامه يحتاج إلى التنفيذ بالتدرج، لا! لا شيء من هذا - العلاقة مع ربنا كوننا مسلمين - يجب أن تكون سمعاً وطاعة.

4 - خصائص المتقين:

أيتها الأخوات..

- معنى التقوى ليس فقط المرأة التي تصلي وتصوم، أو التي تبقى في القيام، تقرأ القرآن وأداء الذكر وغيرها من الأعمال الصالحة ولكن التي تتقيد وتلتزم بالزي الإسلامي (الخمار والحجاب) والحياة الاجتماعية الإسلامية أي الأحكام في تعاملها مع الجنس الآخر؛ وليس عدم التنشئة الاجتماعية أو التواجد في الخلوة، أو التبرج في وجود غير المحرم؛ إنه الشخص الذي يعامل زوجته وأولاده وأولياء أمورهم وأقاربه بلطف ويعطي كل حق له من الإسلام؛ وهو الذي يتعامل مع عمله وأمواله وفقاً للإسلام - والابتعاد عن الربا والالتزام بجميع العقود والأحكام الاقتصادية الإسلامية.

- الشخص التقى ليس الشخص الذي يبقى على سجادة الصلاة أو في المسجد، مع التزام الصمت إزاء ما يحصل من مجازر ضد أمتنا في سوريا وفلسطين وميانمار وفي أماكن أخرى، بل يتحدث ضد هذا الأمر ويعمل على إزالة هذا الاضطهاد كما أمر الله سبحانه وتعالى.

- الشخص التقى ليس هو الشخص الذي لا يحاسب إلا أولئك الذين لا يصلون ولا يصومون ولا يلبسون اللباس الشرعي بل بالأحرى محاسبة الشخص حكام المسلمين اليوم؛ يجب أن يكون هو الشخص الذي يتحدث ضد فسادهم وتنفيذهم أحكام الكفر في بلادنا. وهو الشخص الذي يحمل الدعوة، الذي يدعو الناس للالتزام بأحكام الله سبحانه وتعالى وتنفيذها من خلال حكم إقامة دولة الخلافة على منهاج النبوة - كما أمر الله سبحانه وتعالى. يقول عباس (رجب): المتقون الذين يحدرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به".

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصل مبالغ التقوى عندما قال: (علامات التقوى هي ظهور اللون الشاحب عليهم في اليقظة، وضعف بصرهم من شدة البكاء، وجفاف شفاههم بسبب الصيام وهي مغطاة بالورع)، أي هو الشخص الذي يناضل دائماً في سبيل الله.

• أيها الأخوات - تصورن التقوى وكأنها مفتاح يفتح الأبواب إلى رضا الله سبحانه وتعالى وباب الجنة - ولكن مثل أي مفتاح، فمن الصعب فتح الباب إلا إذا كان كل سن على هذا المفتاح يناسب القفل. وبالمثل، من الصعب علينا بصفتنا مسلمين أن نفتح باب الجنة ما لم تكن طاعة الله سبحانه وتعالى على كل عمل نقوم به، وعلى كل قانون نتبعه.

5- الحكم بالإسلام يحمي ويصون تقوى الأمة

التقوى هي أيضا مثل اللؤلؤة - ثمينة جدا - لأنها مفتاحنا في الجنة. لكن أيتها الأخوات - التقوى كما للؤلؤة يجب حمايتها والحفاظ عليها، مثل قشرة المحار التي تحمي اللؤلؤ. لكن ما الذي يحمي ويحفظ وبقيم تقوى الأمة؟

• في سورة آل عمران الآية 102 - الله سبحانه وتعالى لم يقل فقط - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، بل أيضا يقول: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لذا حافظ على إيمانك، دينك، تقواك كمؤمنين حتى لا نموت إلا مسلمين، وباستثناء الطاعة الكاملة لله؟ لكن كيف يمكننا ضمان ذلك كأمة؟

• قال الباحث ابن جزري في قاموس المصطلحات في مقدمة التفسير له ما يلي: "معنى التقوى هو الخوف، التمسك بطاعة الله والتخلي عن العصيان له. إنه مجموع كل الخير".

- تصوّر التمسك بشيء ما - ما يجعل هذا الأمر سهلاً وما الذي يجعل هذا الأمر صعباً - عندما يكون هادئاً عندما تكون هناك عاصفة أو إعصار من حولك وتحاول ألا تكتسح.

- هذا مثل المجتمع الذي نعيش فيه أيتها الأخوات - إذا كانت المعتقدات والقيم والقوانين من حولك تتماشى مع الإسلام - فعندئذ هو الهدوء الذي يجعل من السهل التمسك بطاعة الله وسيعزز أيضاً قبضتك. ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك، فهو حرقاً مثل هذا الإعصار من حولك، حيث تحاول التمسك بطاعتك لله - صلاتك، ملابسك، أخلاقك، هويتك، واجباتك الزوجية والأسرية والزكاة وحتى عقيدتك.

وأن الحكم بالإسلام، والنظام الإسلامي، والخلافة، يعزز هذا الهدوء والطمأنينة والجو الإيماني داخل المجتمع، وبالتالي الذي يعمل كدرع حامٍ وحارس للمتقين. وكيفية ذلك كالتالي:

- أولاً يضمن الحكم بالإسلام أن جميع معتقدات وأحكام وأنظمة الدين هذه تنفذ بشكل صارم على كل حالة:

قال ابن تيمية في كتابه "الحسبة في الإسلام": "... جميع التزامات الدين، مثل الجهاد والعدل والترتيب للحج وتجمعات الجمعة، وتقديم المساعدة للمظلومين وتنفيذ الأحكام الجزائية للقرآن، لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود السلطان". (أي من خلال الحكم بالإسلام)

ومن هنا - الوفاء بجميع هذه الالتزامات الإسلامية - الزكاة والحج والحدود، ومساعدة المظلومين، والجهاد، وضمن التنفيذ الصحيح لجميع التشريعات والأحكام الإسلامية للقيام بالعقود، والأعمال التجارية، والزواج، والطلاق، والميراث، النفقة، حتى المواد الغذائية وما إلى ذلك - تعتمد على وجود حكم من الإسلام، ونظام الخلافة.

- ثانياً، إن الحكم بالإسلام هو القاعدة التي تضمن أن تكون الأمة محاطة بالقيم النبيلة والسامية للإسلام داخل المجتمع وتمنع أي وجود للفساد من الدخول إلى المجتمع. وإلى جانب ذلك، فإنه ينشئ المؤمنين بشكل صحيح ليكونوا قادرين على الوفاء بالتزاماتهم - من خلال نظام التعليم والإعلام والوسائل الأخرى، بالإضافة إلى فرض العقوبات الإسلامية المناسبة على أولئك الذين لا يلتزمون بأوامر الله سبحانه وتعالى.

- كتب المؤرخ الإسلامي العظيم ابن هشام بشأن إنشاء أول دولة إسلامية في المدينة المنورة: "عندما قدم النبي ﷺ ورضي واطمأن في المدينة، وعندما تجمع إخوانه من المهاجرين في المدينة المنورة مع إخوانه من الأنصار لقد بني الإسلام بشكل راسخ وكانت قد فرضت الصلاة والصيام والزكاة، وأقيمت الحدود، وعرف الحلال والحرام، وكانت السلطة للإسلام."

لذا فإن معظم الواجبات في الإسلام لم تكن إلزامية حتى تمت إقامة الدولة في المدينة المنورة - لأنه حكمت بالإسلام الذي يساعد المؤمنين للوفاء بالتزاماتهم بشكل صحيح وتصحيحها إذا لم يفعلوا ذلك من خلال الطرق الإسلامية المختلفة، بما في ذلك العقوبات.

• كل هذا أيتها الأخوات، يحمي ويثبت ويقوي ويزيد من تقوى المؤمنين ويساعدهم أن يصبحوا من المتقين ونيل أعلى درجة في الجنة إن شاء الله. وبالتالي فإن حكم الإسلام في ظل الخلافة يشبه قشرة المحار، أو جدران وسقف مبنى يحيط بتقوى المؤمنين ويجرسها من التآكل أو الهجوم. إذاً هناك رابط أساسي وعليني بين الحكم بالإسلام وتقوى الأمة.

- لهذا السبب قال الإمام الغزالي رحمه الله: "الملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهذوم وما لا حارس له فضائع". وقال أيضاً في غياب الخلافة: "سيعطل القضاء وتلغى الولايات ولن تنفذ أوامر من في السلطة وسيكون جميع الناس على حافة الحرام".

6- كيف هزمت تقوى الأمة وتآكلت في عصرنا الحالي

اليوم أيتها الأخوات، في غياب الخلافة وحكم الإسلام - ليس هذا بالضبط ما نراه - حيث تتعرض التقوى واطاعة الأمة لله سبحانه وتعالى للهجوم من جميع الاتجاهات، المؤمنون ليس فقط على حافة الحرام بل غارقون فيه.

• نرى أنه حتى إجراءات العبادة الخاصة بنا لا يمكن أن تتم بشكل صحيح - على سبيل المثال، بداية شهر رمضان بسبب القومية والانقسام والتلاعب السياسي، حتى إن البعض بفوته صيام أول يوم من رمضان، ويتم التلاعب بالحج سياسياً فيما يتعلق بمنح التأشيرات، والزكاة - لا لسنا متأكدين من أننا ندفعها بشكل صحيح، وأنها ستصل إلى الفئة الصحيحة من الناس، والربا، والخمر، والقمار، والمخدرات - كلها متاحة في أراضينا وتدمر وتفسد الناس.

• نحن نرى في وسائل الإعلام - ونشر جميع أنواع الثقافة الآسيوية والغربية - وتعزيز الفظاظ، العري، الاختلاط، الفردية، المادية، وسلوك الشباب المتمرد، والعلاقات خارج نطاق الزواج، وتآكل مفهوم الزواج والحياة الأسرية في الإسلام. حتى أصبح هيكل الأسرة في أزمة في مجتمعاتنا الحالية. مثلاً في مصر - ارتفع معدل الطلاق من 7% إلى 40% في السنوات الخمسين الماضية، وفي المملكة العربية السعودية 8 حالات طلاق كل ساعة وفقاً لوزارة العدل، والشيء ذاته يحصل في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

• نرى أنظمة التعليم في بلادنا - تغرس المفاهيم الغربية في تفكير الشباب. على سبيل المثال، في الأردن - تم إزالة ما يقرب من 20٪ من التعليم الإسلامي الذي سبق أن تم تدريسه من الصف السابع إلى العاشر؛ وتمت إزالة صور النساء اللواتي يرتدين الحمار في بعض كتب القراءة المدرسية واستبدلت بها صور النساء اللواتي يرتدين الثياب الغربية مزينة بالمكياج واللاقي يتم تقديمهن بوصفهن "نساء حديثات". أيضا في مصر، تم حذف الدروس المتعلقة بالصحابة رضوان الله عليهم والشخصيات العظيمة من التاريخ الإسلامي مثل صلاح الدين أيوبي تحت ذريعة أنها تحرض على العنف والتطرف. وفي فلسطين، تمت إزالة المواضيع المتعلقة بالتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية من المنهج الدراسي، حتى عبارة "الإسلام هو الدين الحق" تم حذفها في شرح سورة الكافرون في موضوع التربية الإسلامية في الصف الثاني.

• نرى اللباس الإسلامي يتعرض للهجوم. هنا في الغرب نتوقع ذلك - ولكن ماذا عن الأرض المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة؟ وقد قال الأمير محمد بن سلمان بأنه ينبغي على المرأة أن تكون قادرة على ارتداء ملابسها وفقاً لما تعتبره لائقاً ومحترماً - لذلك لا حاجة إلى اتباع قواعد اللباس الإسلامي. هذا بالإضافة إلى جدول أعماله لوضع الثقافة الغربية في هذه الأرض المقدسة لجعلها مثل دبي - من خلال المنتجعات الترفيهية وما شابه ذلك. لذا لا تتفاجأ أن أخواتي بعد بضع سنين من الآن إذا رأيتن السائحين يشربون الخمر أو النساء يعرضن أجسادهن بالقرب من المسجد الحرام في مكة أو المسجد النبوي - لنعود إلى زمن قريش - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• حتى عقيدة هذه الأمة لم تعد آمنة. فمثلا في تركيا - المقعد الأخير للخلافة - كان هناك تقرير حديث ذكر أن انتشار الإلحاد بين الشباب المتعلمين في المدارس الثانوية الدينية في البلاد أخذ في الازدياد - فهم يتكون دينهم - ليصبحوا من المرتدين! وهناك اتجاه مماثل في بلدان أخرى. نراه هنا في الغرب أيضاً. اللهم احفظ شبابنا. آمين!

• وها نحن نرى اضطهاد المسلمين في الصين وآسيا الوسطى وميانمار وغيرها من الأراضي - الذين يجبرون على ترك معتقداتهم الإسلامية - في أي مكان ويهربون من أجل ممارسة دينهم في أمان. في الصين على سبيل المثال - في مقاطعة شينجيانغ المسلمة - يحظر على الطلاب المسلمين والعاملين في الحكومة الصوم. يمكنهم أن يفقدوا معاشهم إذا ذهبوا إلى الحج؛ وأيضا تُجبر النساء المسلمات على الزواج من رجال صينيين غير مسلمين؛ وهناك معسكرات إعادة التعليم الجماعية - حيث يتم إجبار 700,000 من المسلمين (من أصل 11 مليون مسلم) على حمل المعتقدات الشيوعية وترك الإسلام، بالإضافة إلى إجبارهم على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر.

كل هذه أخواتي، لأن لدينا أنظمة حكم في أرضنا اليوم والتي يحكمها الكفر وليس الإسلام، لذلك بدلاً من جعل الأمة أقرب إلى ربها، يدفعونها بعيداً عنه، بدلاً من إعطاء الملاحة للمسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد بسبب معتقداتهم حتى يتمكنوا من ممارسة دينهم يغلِقون الأبواب أمامهم، بل في الواقع، في هذه الدول أصبحت طاعة الله سبحانه وتعالى اليوم جريمة، ويوضع المتقون وراء القضبان لمجرد تنفيذهم أوامر الله سبحانه وتعالى - كما نرى في باكستان وبنغلاديش ومصر والسعودية وتونس والأردن وبلدان أخرى - الرجال والنساء الأتقياء، والعلماء، وحملة

الدعوة المسجونين بسبب دعوتهم لتطبيق شرع الله، أو محاسبة الحكام لحكمهم بأنظمة الكفر، أو التحدث ضد مؤامرات المستعمرين في بلادنا، وجميع الالتزامات في الإسلام.

• أخواتي، هذه هي حالة تقوى الأمة في غياب الخلافة وحكم الإسلام. وهذا ليس مفاجئاً لأن الرسول ﷺ قال: «لِيُنْقِضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةَ فَكُلَّمَا انْتَقَصَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِأَلْيِّ تَلِيهَا وَأَوْهَنَ نَقْضًا الْحُكْمَ وَأَخْرَجَهُنَّ الصَّلَاةَ». لأن حكم الإسلام هو العقدة العلوية لهذا الدين الذي يمنع العقد الأخرى من الإسلام من أن تحل أو تفكك.

7- كيف ستكون الخلافة الدرع الحامي لتقوى الأمة

• أخواتي، أود أن أقدم لكن رؤية اليوم، عن كيف ستكون الحياة المختلفة تحت نظام الحكم الإسلامي للخلافة، التي ستكون درع الحامي لتقوى الأمة.

• تخيلن الدولة التي من شأنها أن تجعل القرآن والسنة في كل جوانب الحياة في المجتمع بحيث إن المعتقدات والأحكام الإسلامية سوف تمس كل جزء من حياة الناس. دولة لا يهتمها من أنت بكل الأحوال ستذكرك بربك وخالفك الله عز وجل، بدءاً من اللوحات الإعلانية في الشوارع، إلى مناهج المدارس؛ ومن بنية المنازل إلى بث وسائل الإعلام؛ ومن معاملات السوق والضرائب التي تدفعها لطبيعة الأعمال التجارية والعقود التجارية؛ ومن نقاء العلاقة بين الرجل والمرأة إلى إنشاء نظام النقل؛ من تشغيل الحياة الأسرية إلى العلاج المقدم في المستشفيات؛ من قاضي المحاكم إلى تنظيم الحكومة والمؤسسات السياسية - كل شيء سيكون وفقاً لديننا.

• دولة تقوم على أساس الصلاة والصوم والزكاة واللباس الإسلامي وجميع الواجبات الإسلامية الأخرى بشكل صريح على المجتمع وتنفيذ جميع أحكام وحدود الله، وتحظر الخمر والقمار، وتغلق كل تلك النوادي والحانات التي تشجع الزنا وجميع أنواع السلوك غير الأخلاقي والفساد، وبدلاً من ذلك مساعدة رعاياها ليصبحوا عباداً متفانين ومطيعين لربهم.

تخيلن وجود وسائل الإعلام التي بدلا من نشر جميع أنواع الفتنة والفساد والذهول في عقول الناس في المسرحيات التي تهدر الوقت والأفلام - تبث بدلا من ذلك البرامج والأفلام الوثائقية وغيرها من المواد التي تبني تقوى الأمة وتعلمهم وتفقههم في الدين، وتثري لهم ثقافتهم الإسلامية، تبني تفكيرهم السياسي الإسلامي، وتأخذ دوراً رئيسياً في تسليط الضوء على حالة الأمة على الصعيد العالمي، ويكون صوتاً هائلاً ضد أي شكل من أشكال الظلم في العالم، فضلاً عن أنها ستحمل دعوة الإسلام إلى البشرية كافة.

• تخيلن وجود دولة تستطيع فيها المرأة المسلمة أن تلبس ثوبها الإسلامي بشرف وحماية، وتتمتع بالمكانة الرفيعة والاحترام الحقيقي الذي تستحقه بوصفها الشخص الذي يستحق التواضع والعفة والذي تنفذ فيه جميع أحكام الحياة الاجتماعية الإسلامية ومن الصحيح والواجب أن تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة بحيث يمكن أن يكون لكليهما حياة عامة نشطة ومنتجة مع الحفاظ أيضاً على كرامتهما وقدسيتها والزواج والحياة الأسرية.

تخيلن أخواتي إرسال أطفالنا للتعلم في المدارس والكليات والجامعات التي لا تهدف فقط إلى خلق أفضل العقول أكاديميًا بل لبناء شخصيات إسلامية، بحيث يصبح الإسلام أساسًا لكل أفكارهم وميولهم وأفعالهم في جميع مجالات حياتهم - حيث يتم تدريس القرآن بطريقة عملية بحيث يصبح مخطط حياتهم؛ ويتم تدريس دروس العلوم بحيث نحصل على أجر أكبر من الله سبحانه وتعالى؛ ويتم إعطاء دروس التاريخ بطريقة تجعلهم يفتخرون بتراثهم الإسلامي، وجعله قدوة لهم، بدلاً من كون قدوتهم من المغنين الفارغين والممثلين اليوم، وبالتالي ستصبح الشخصيات الإسلامية العظيمة في الماضي هي مصدر إلهامهم للمحاكاة في حياتهم وكسب الصفات البارزة مثل شجاعتهم، والتقوى، والوقوف ضد الظلم وحماية الإسلام - بحيث يصبح شباب هذه الأمة قادة وشخصيات إسلامية متميزة والذين يجسدون السلوك النبيل، الذين هم حاملو الدعوة الإسلامية والمعارضون للفساد والظلم، ويمثلون صفات قادة الإنسانية.

• تخيلن أخواتي، الدولة التي سيحكمها قادة التقوى الذين يفهمون واجبهم في تعزيز إيمان شعبهم؛ الحكام الذين سيكونون حراس الدين، ويسعون باستمرار إلى الحفاظ على شعوبهم ثابتين على طاعة الله ورضاه عنهم، والذين يشجعون ويساعدون الناس على محاسبة أي إهمال في تطبيق وتنفيذ أحكام الإسلام - مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. يقال إن شخصاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن "يتقي الله" علناً "اتق الله يا عمر فأخذت في الجالسين غضبة، فقال لهم عمر لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لن نقبلها". (مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي. ص 155). كما أصدر تعليمات لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعدم وضع أبواب في البيت بالكوفة، حتى يتمكن الناس من الوصول إليه بسهولة ومحاسبته.

• أيتها الأخوات، هذه هي حالة الخلافة - نظام الله عز وجل - درع تقوى الأمة - وهي دولة سيشعر فيها المؤمن الحقيقي أنه أخيراً وجد منزله الحقيقي، حيث ستمكن من العيش بشكل كامل وفقاً لأوامر الله، نحصل على المساعدة والمساندة الحقيقية لنصبح من المتقين. لهذا السبب قال العالم الكبير الإمام الغزالي: "إن نظام الحياة الإسلامي الذي يرفعه الإسلام لا يمكن أن يعمل بشكل صحيح إلا بوجود سلطان (خليفة) مطيع وممثل لأوامر الله".

8- الخلاصة

• أخواتي؛ هل تردن هذه الحالة؟ هل تردن العيش في هذه الدولة؟ هل تردن أن يكبر أطفالكن في هذه الدولة؟ إذن اعملن لجعلها تحدث إن شاء الله! ابدلن كل جهودكن لأجلها، عززن من عزيمتكن في رمضان لتصبحن من المتقين - الذين يسعون جاهدين لتطبيق كل أوامر الله وأحكامه في حياتهم وفي هذا العالم! لا تفوتن هذه الفرصة التي منحكن الله إياها لتصبحن من أحبائه، لنيل غفرانه وكسب مكانة عظيمة في الجنة إن شاء الله.

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبِي». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يُأْتِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي».

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين